المحاضرة رقم01:صيانة وترميم الممتلكات الثقافية.

د.بن زغادي

1-مفهوم الصيانة والترميم.

2-نشأة عملية الصيانة والترميم.

3-الطرق المتبعة في الترميم.

4-مراحل عملية الترميم.

5-الشروط العامة لعملية الصيانة والترميم.

تمهيد:

يعتبر موضوع الصيانة والترميم من المواضيع المهمة في مجال علم الآثار،بل هو أكثر من ذلك،إذ يشكل عموده الفقري،لما له من أهمية بارزة في الحفاظ على الممتلكات الثقافية المادية الثابتة والمنقولة على حدٍّ السواء،وتكمن حقيقة الحفاظ في الإبقاء قدر الإمكان على القيم المميزة لها التي حدَّدها المجلس الدولي (القيمة الفنية-القيمة التاريخية-القيمة الروحية-القيمة الرمزية-قيمة الأصالة) المحدَّدة من طرف المجلس الدولي للمعالم التاريخية والمواقع الأثرية(ICOMOS).

1-مفهوم الصيانة والترميم:

1-1 مفهوم الصيانة:(Entretient)

أ-لغة:يرجع أصله اللغوي إلى الكلمة اللاَّتينية Conservatio التي تعني الحفاظ والصيانة والعلاج،ولا يقتصر معناها على ذلك فقط،بل أُستخدم أيضاً في الحفاظ على البيئة،وهو في كلتا الحالتين المصطلح يفيد معنى الحفاظ،وهناك كلمة أخرى مشابهة لكلمة الحفاظ باللغة الفرنسية وهيConservatoire التي بدأ استعمالها في سنة 1789م للدلالة على معهد الموسيقى الذي يهتم بالحفاظ على التراث الموسيقي الأوروبي ويمنعه من الضياع والاقتباس.

وحسب ما يراه بعض المتخصصين في علم الآثار أنه على الرغم من قدم مصطلح الترميم عن مصطلح الصيانة،إلاّ أنَّ هذا الأخير أصبح الأكثر تداولاً في صفحات الكتب،فقد توارى مصطلح الترميم في المواضيع التي تعالج كيفية ترميم وصيانة التراث المادي المنقول والثابت،وربما يعزّى ذلك للإحساس الذي انتاب المختصين جرَّاء الانتقادات التي وُجِّهت للكثير من أعمال الترميم الخاطئة،فهي ليست إجراء ميداني يهدف إلى التقوية فقط،إنما هو علم وفن في نفس الوقت.

ب–اصطلاحاً:تُعرَّف هذه العملية على أنها المراقبة والتفقد الدوري للحالة التي هي عليها المعالم التاريخية واللقى الأثرية وبقايا المواقع الأثرية،ويمكن لهذه العملية أن تكون قبل وبعد عملية الترميم وهي تحول دون تفاقم الضرر في الشواهد الأثرية،مثلاً إصلاح أنابيب صرف المياه القديمة في المدن العتيقة،وتصريف مياه الأمطار من أسطح وحول أساسات المباني الأثرية،هذه التدخلات من شأنها وقاية العناصر الحاملة كالأسوار والأعمدة والقباب لأنها سريعة التأثر بالرطوبة.

1–2مفهوم الترميم:(Restauration)

أ–لغة:هناك من يرى أن هناك علاقة وطيدة بين كلمة الصيانة والحفاظ لأن كلاهما يرجع اشتقاقهما اللغوي من الفعل Servar،الذي يرجع اشتقاقه اللغوي من الكلمة اليونانية Stauros التي تعني الإصلاح والتدعيم،وكانت تطلق كلمة المرمِّم Restaurateur في دول أروبا كفرنسا إبَّان القرن الثامن عشرة على الممرِّض الذي يساعد الجرَّاح أثناء القيام بعملية جراحية،ثم أصبح يطلق على كل من يقوم بتهيئة وإصلاح كل ما له علاقة بالتحف الفنية.

المعلم التاريخي من انهيار أوالتلف،وهناك من يعرِّفه على أنه عملية تقام إلاّ في الحالات القصوى التي تستدعي اجراء فحوصات دقيقة وإضافات وتعديلات بهدف إصلاح الضرر الذي أصاب المعلم أواللقية الأثرية،وعليه أمكن اعتبار الترميم عملية فنية دقيقة بالدرجة الأولى،تتطلب علاوة على العلم والتجربة ذوقاً جمالياً وحساً ومهارةً يدوية فائقة،وهو عملية تهدف أساساً إلى اصلاح الأضرار التي نتجت عن العامل البشري أوالطبيعي من أجل احداث توازن حضاري.

وكتعريف شامل لعمليتي الصيانة الترميم،أمكن القول أنها إحدى القنوات الأساسية في إيصال ما أنجزه الأسلاف من بصمات مادية من دون ضررٍ و تزييف،لضمان التوا ل الحضاري في أحسن ورة ممكنة،وهما عمليتان متكاملتان تكمِّل الواحدة منهما الأخرى،إذ أنه يمكن أن يكتمل نجاح عملية ترميم من دون يانة دورية،و يمكن أن تكون هناك يانة دورية تفقدية من دون ترميم دقيق وفني جُسِّد من قبل أو سيجرى فيما بعد،وعليه أمكن القول أن ترميم و يانة الآثار هو وحدة عمل متكاملة علمية وعملية تراقب وتدرس وتحلِّل وتفكر بناءًا على الأبحاث والمواثيق والخبرات،لكي يكون ترميم الآثار علماً يحافظ على حضارة الأجيال،حتى يبقي الأثر كتابًا مفتوحًا أمام الدارسين لحضارات الشعوب وتاريخها،الأمر الذي جعل من هذه العملية العمودي الفقري وجوهر علم الآثار.

2-نشأة عملية الصيانة والترميم:

ليس من السهل تتبع المراحل التاريخية التي تكشف عن نشأة عمليات ترميم و يانة الآثار وإماطة اللثام عن تطور هذه العمليات وتلك الفنون بكل دقة،وذلك لعدم وجود وثائق كافية يمكن ا ستناد عليها لتوضيح هذه الحقائق،ولكن يمكن القول استنادا إلى مضمون مصطلح Restoration الذي يعني إ لاح وعلاج ما تلف من الأشياء المادية التي لها قيمة نفعية أوجمالية أوتراثية بالنسبة للإنسان،وعرفت عمليات الترميم والإ لاح منذ أن عرفت حياة ا ستقرار واتخاذ الإنسان له مسكنا سواء مشيداً من جذوع النخيل أو الأشجار،ومسقفٍ بسعف النخيل والنباتات الجافة المختلف وسطحه الخارجي مغطى في بعض المراحل التاريخية بطبقات من الطين لسدِّ الفراغات التي قد توجد بين جذوع الأشجار والنخيل،كما توَّ ل الإنسان بعد ذلك إلى تشييد منزل أكثر قوة و لابة من هذا المنزل البسيط،حيث قام بتشييده بالطوب اللبن المخلوط بالتبن،وعندما كانت تتعرض للانهيار بفعل الز زل الأمطارأو العوا ف الرعدية أو الحرائق وغيرها من العوامل الطبيعية المختلفة كان يعيد بنائها أو إ لاح ما قد تلف من أجزائها.

وعلى ضفاف نهر وضع الفراعنة أسس حضارة ذاع □يتها في العالم ككل،ولم تنحصر أعمالهم فيما له علاقة بالتشييد والنحت والرسم وغير ذلك،بل اعتنوا أيضاً بمجال الصيانة والترميم،فقد أقدموا على حفظ المومياات من التلف اعتماداً على طرق معينة تعتمد على حشو القف □ الصدري والبطن والجمجمة بقطع من القماش يحتوي مواد راتنجية،مع □ب الزيوت لسد المسامات،ومن هنا تتأكد لنا أن عملية الصيانة والترميم عُرفت عند الفراعنة ولو بمفهوم مغاير.

وكذا يمكن اعتبار هذه العمليات البدائية البدايات الأولى لنشأة ترميم المنشآت المختلفة وإ□لاح ما قد تلف،مع إنشاء المعاهد الأكاديمية المتخصِّصة في تدريس علم □يانة وترميم الآثار وغيره من العلوم المساعد وانتشار مراكز □يانة الآثار في كثير من بلدان العالم المتقدمة مع مطلع القرن العشرين وأ□بحت الدراسات العلمية والتجارب الميدانية التطبيقية التي يقوم بها خبراء □يانة الآثار في شتى مراكز ومعاهد □يانة الآثار الدولية هي المعين الذي يطور علم □يانة الآثار ويمده بالحيوية.

3-الطرق المتبعة في عملية الترميم:

يتطلب الو□ول إلى نتيجة مرضية في عملية الترميم ا□ستعانة بأكثر من طريقة،وعليه نذكر أهمها كالآتي:

3-1 الترميم المعماري:يهتم هذا النوع على إقامة المباني المنهارة،واستبدال الأجزاء المتآكلة مثل مداخل الأبواب والعنا□ر المعمارية بمواد حديثة بشرط أن تتماثل مع مواد بناء الأ□لية في طبيعتها وشكلها ومظهرها.

3-2 الترميم الهندسي:ينحصر عمل هذا النوع في عزل وتدعيم وحقن الجدران وغيرها من من العنا□ر المعمارية كالسقوف والقباب...إلخ،ويعنى الترميم الهندسي أيضا بمعالجة ما يتأتى عن مياه الرشح والرطوبة،وفي جميع هذه الحا□ت □بد من ا□ستعانة بمواد بناء تتوافق مع المواد الأ□لية.

3-3 الترميم الدقيق:يقوم هذا النوع من الترميم على ملئ الشقوق والفجوات وحقن الشروخ النافذة في الجدران وغيرها،وتثبيث القشور السطحية الآيلة للسقوط،وعلاج النقوش الجدارية والزخارف

والحليات وتنظيف وتثبيت الألوان وتجميع وتقوية الكتل الحجرية واستخلاص الأملاح وترميم جميع العنا□ر المعمارية المرتبطة بالنحت والنقش والتصوير.

4-مراحل عملية الترميم:

يعتبر الأثر بصرف النظر عن ماهيته عملاً فنياً خالصاً،لذلك يجب على المرمم ان يتمتع بحسٍ فنيٍ راقي حتى □ يكون الترميم مسخاً يفقد الأثر أثريته،هناك من يرى أنه □بد على عملية الترميم أن تمر بست خطوات حتَّى تؤتي ثمرها على أكمل وجه حيث يتم التركيز في الخطوة الأولى قبل بداية المشروع على إعداد دراسة مستفيضة معمَّقة للمعلم التاريخي

الذي ستجرى له عملية الترميم،باستخدام وسائل علمية،حتى يتم ضبط الطريقة المناسبة التي تضمن نجاح العملية،ثم تأتي بعدها عملية التقييم التي تتلخ □ في تقدير مستويات الضغوط والتشوهات المحتمل وقوعها بعد تحليل المعطيات المتحصل من الخطوة السابقة،ويكون ذلك إعتماداً على العلوم المساعدة كالهندسة المعمارية والمدنيو والكيمياء....إلخ،وبعد ذلك تأتي مرحلة القرار التي يتخذ فيها الأسلوب المناسب الذي □ يضر بالمعلم التاريخي،بعد الوقوف وتقييم النتائج المحتمل حدوثها سابقاً،وعقب اتخاذ القرار يتم مباشرة الأشغال الخا□ة بالترميم،وتطبيق ما تمَّ تمحيصه من معطيات ونتائج،وبعد استكمال العملية يُعاين المعلم التاريخي من جميع جوانبه،أي الفنية والإنشائية معاً،لأنه ربما تحدث انعكاسات سلبية فيما بعد لم يحسب لها جيداً،بناءً عليه □بد من تفقد المعلم التاريخي بانتظام طيلة الأسابيع الأولى التي تلي ا□نتهاء من العملية،والرسم التخطيطي الآتي يوضح ما أتينا على ذكره:

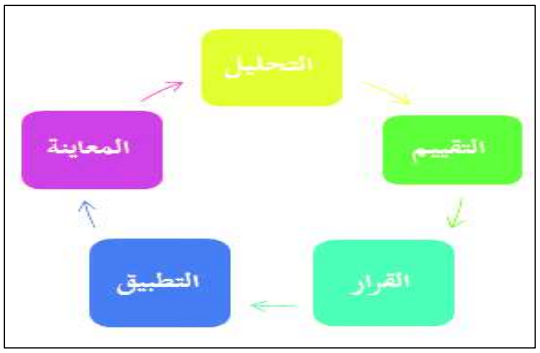

الرسم التخطيطي رقم(01):يبين مراحل ومتطلبات عملية الترميم المعالم التاريخية

5-الشروط العامة الواجب اتخادها في عملية الصيانة والترميم:

بد على القائم على عملية الصيانة والترميم أن يضع في حسبانه مجموعة من الشروط،حينما يبدأ في إجراء العملية،لكي يضر بقيمة الأثر،و يسقط في فخِّ الترميم الخاطئ الذي يعد أحد عوامل التلف المباشرة للآثار المادية،ومن بين الشروط والقواعد الأساسية الواجب أخدها بعين اعتبار نذكر مايلي:

-تحديد المواد الداخلة في تركيب المبنى الأثري المراد يانته وترميمه.

-تحديد عوامل التلف السائدة كنقطة أولى لدراسة تأثيرها،وكيفية تلافي أخطارها.

-تحديد نوع التلف،ودراسة الظروف والمحيط الذي يوجد فيه المعلم التاريخي أو الموقع الأثري.

-تحديد موافات المواد اجب استخدامها في عملية الصيانة والترميم.

-اختيار الأسلوب الأنجح المتبع في يانة وترميم الأثر موضوع هذه العملية.

وكخاتمة لما تمَّ ذكره من معلومات عن الصيانة والترميم،أمكن القول أنها جوهر علم الآثار،فلم يعد اكتشاف الآثار المادية وحده هو الهدف الأسمى،بل أبح أمر الحفاظ عليها وإيصالها للأجيال اللاَّحقة هو الأهم،هو الأمر الذي جعل من عملية الصيانة والترميم أحد اللبنات الأساسية في تسيير الممتلكات الثقافية واستغلالها.